المبحث الثَّانِي

الأنماط الإيقاعية غير الثابتة

{1} {2} {3} التصريع[1] والتقفية[2] والتدوير:

لعل التصريع والتقفية من المظاهر المهمة في شعر الشاب الظريف، لذا نلمح لديه ميلاً إلى هذا الجانب، فمن مجموع 443 وحدة شعرية صرّع وقفّى 247 مطلعاً من مطالع هذه الوحدات أي بنسبة 55,75 % أي اكثر من نصف المطالع. والملاحظ ان نسبة التصريع والتقفية في قصائده تقارب المائة بالمائة. فقد نظم 66 قصيدة صرّع وقفّى 64 قصيدة منها. اما بالنسبة للمقطوعات فنسبتها تقل عن ذلك، فمن مجموع 157 مقطوعة صرّع وقفّى 96 مطلعاً أي بنسبة 61,14% أي أكثر من النصف أيضاً. ومن مجموع 218 نتفة صرّع وقفّى 85 مطلعاً أي بنسبة 38,99% وهي نسبة لا بأس بها. فالنتف لا تتطلب عناية باللفظ والنظم ؛ لأنها في اغلب الأحيان آنية ومرتجلة تكون لغرض تفكُّهٍ أو تندر وما إلى ذلك، وهي لا تتطلب حسن ابتداء وفخامة في العبارة واللفظ دون المعنى. فكلما كان الغرض جاداً سواء في الغزل أو المديح أو الهجاء كلما زاد الاهتمام بالمطلع تصريعاً وتقفية. لذلك كان اهتمام الشاب الظريف بتصريع مطالع أشعاره – ولا سيما القصائد – واضحاً جلياً مترسماً خطى من سبقه من الشعراء.

فضلاً عن ذلك ما يضفيه هذا اللون من حس موسيقي ونغمة رنانة تحفِّز المتلقي وتصبُّ في الإطار العام لأنغام القافية وموسيقاها. والشاب الظريف قد أفلح في هذا الباب إن لم يكن أجاد فيه فجاءت أغلب مطالعه مصرعة مقفاة. ولعله أدرك اهمية هذا الجانب فلجأ إلى تصريع الأبيات التي تلي المطلع وتقفيتها كقوله:

أراك الحمى لما شدتهُ السواجعُ تثنَّى كلما هبَّتْ عليه الزعازعُ

فأطربه من شدوها لحنُ ساجع ينوحُ على أحبابه فهو ساجعُ

---

(1) **التصريع**: تبعية العروض للضرب قافية ووزناً وإعلالا. ينظر: معجم مصطلحات العروض والقوافي: 48.

(2) **التقفية**: هي ان تضع قافية للبيت في مصراعيه، أي أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة. ينظر: المصدر السابق: 211.

فســرُّ الهــوى للصــبِّ بالــدمع ذائــعُ كمــا قلبــه بــين المحامــل ضــائعُ

علــى أنَّ أيــام الوصــالِ ودائــعُ ولا بــد يومــاً أن تــردَّ الودائــعُ[1]

- وقد يستعمل في ذلك بعض ضروب الجناس فيخرج به ذلك إلى بعض التكلف كقوله:

أتــراك بــالهجران حــين فتكــتَ فــي قلبــي علمــت بمــا يجــنُّ فتكتفــي

عاهــدتني أن لا تخــون ولمــت فــي طلبــي وفــاءكَ بــالعهود ولــم تــفِ

إن جــال طرفــي فــي ســواك فــلا غفــي أو حــال قلبــي عــن هــواك فــلا عفــي[2]

وقد يكون التصريع بالزيادة أو بالنقص أو تقفية فقط، على ان التصريع بالنقص يغلب على التصريع بالزيادة:

- فمن الأولى قوله:

عــودي إلــى حســن التــأتِّي فلقــدْ جهلــت مــن اجتنبــتِ[3]

فالعروض في البيت الأول مجزوءة مضمرة مرفلة لموافقة الضرب، وفي البيت الثاني جاءت صحيحة بدون ترفيل.

- ومن الثاني قوله:

يــا راقــد الطــرف مــا للطــرفِ إغفــاءُ حــدِّث بــذاكَ فمــا فــي الحــبِّ إخفــاءُ

إن الليــالي والأيــامَ مــن غزلــي فــي الحســن والحــبِ أبنــاءٌ وأنبــاءُ[4]

- ومن التقفية قوله:

أرض الأحبّــةِ مــن ســفحٍ ومــن كُثُــبِ ســقاكِ منهمــر الانــواء مــن كثــبِ[5]

فالعروض كثب جاءت موافقة للضرب وللعروض الثانية في البيت الثاني وقوله:

(1) الديوان: 202.
(2) الديوان: 221.
(3) الديوان: 103.
(4) الديوان: 29.
(5) الديوان: 72.

أضــرم لمــن رامَ وصــلاً منــك أو خَطَبَــا نــاراً جُعلــت لهــا أحشــاءه حَطَبَــا[1]

او قوله :

ســـهر العيـــون يلـــذُّ للمشـــتاقِ والســـقم خيـــر ملابـــس العشَّـــاقِ[2]

- والملاحظ أنه يستعمل في بعض الأحيان في العروض والقافية كلمات متجانسة ليزاوج بين الجناس والتقفية أو التصريع مستثمرا هذين اللونين في أحسن صورة كقوله:

لا طــلَّ صــوبَ الغــوادي ســاحتي قطنــا ولا رعــى الله مــن فــي أرضــها قطنــا[3]

وقد ارتبطت بالمطالع ظاهرة أخرى هي ظاهرة التدوير وهي أقل شأناً في أشعار الشاب الظريف، فلم ترد إلا في 14 مطلعاً معظمها مقطوعات أو نتف، ولعله أدرك أن التدوير لا يضفي على مطالع القصائد مثل ما يضفيه التصريع والتقفية فهما أكثر وقعاً في النفس وأقرب تذكيراً بالشعر على عكس التدوير ؛ لذلك نراه يقل قلة واضحة في مطالعه.

والتدوير ما هو إلا إلغاء للفواصل ما بين شطري البيت الواحد، فيشتركان في اللفظ ويتوحدان فيه حتى تحسُّ بأنهما شطر واحدة. وقد يلجأ الشاعر إلى التدوير لغرض الغاء الرتابة في أبياته، وكسر القيد المفروض على كل شطر.

والشاب الظريف يلجأ في بعض الأحيان إلى كسر هذه الرتابة مع اضفاء الجمالية على شعره من خلال المزاوجة بين التصريع والتدوير، فنرى البيت الأول مصرعاً أو مقفى، والبيت الثاني مدوراً كقوله:

أرضُ الأحبّــة مــن ســفحٍ ومــن كثــبِ ســقاكِ منهمــرَ الأنــواء مِــن كَثَــبِ

ولا عــدت اهلــك النــائين مــن نفــس الــ صــبا تحيــةُ عــاني القلــب مكتســبِ[4]

أو كقوله:

لا تخــف مــا صــنعت بــكَ الأشــواقُ واشــرحْ هــواكَ فكلنــا عشّــاقُ

(1) الديوان: 58.
(2) الشاب الظريف حياته وشعره، المستدرك، محمد شاكر ناصر:140، ديوان الشاب الظريف نظرات ومستدرك: الدكتور عباس هاني الجراخ: 300.
(3) الديوان: 327.
(4) الديوان: 72 – 73 .

قـد كـان يخفـى الحـب لـولا دمعـك الـ جـــاري ولـــولا قلبـــك الخفَّـــاقُ

فعســى يعينــك مــن شــكوت لــه الهــوى فـــي حملـــهِ فالعاشـــقون رفـــاقُ[1]

فنراه يصرع المطلع ثم يدور البيت الثاني ثم يلج في القصيدة. والتدوير في المطالع يرتكز النظم به عند الشاب الظريف في الكامل ومجزوءه، ومجزوء الرمل ومجزوء الرجز والخفيف المنسرح والهزج كقوله:

وافـــى بوجـــه قـــد زهـــى بالطلعـــة الـــ غـــراء فـــوق القامـــة الهيفـــاء[2]

وعيـــون أمرضـــن جســـمي واضرمـــ ـــن بقلبـــي لـــواعج البلبـــال[3]

مالـــك قـــد أحـــل قتلـــي بـــرمح الـــ قـــدِّ منـــه وراح قلبـــي طعينـــهْ[4]

حتـــام يلحـــى عليـــك مـــن خلـــت الـــ أحشـــاء مـــن مـــن لاعـــج الحـــزنِ[5]

وربما يلجأ في بعض الاحيان إلى تصريع أبيات القصيدة وهو قليل عنده، والتصريع هنا جائز استعماله ((لإرادة الخروج من قصة إلى أخرى، ومن وصف شيء إلى وصف غيره ليؤدي بالانتقال من حال إلى أخرى وهو مستحسن متى قل، فإن كثر فهو مستهجن))[6] كقوله في احدى قصائده موظفا هذا الشكل من التصريع:

حللـــت بأحشـــاءِ لهـــا منـــك قاتـــلُ فهـــل أنـــت فيهـــا نـــازل أو منـــازلُ

(1) الديوان: 225.
(2) الديوان: 35، والبيت ورد من غير تدوير في الديوان.
(3) الديوان: 271.
(4) الديوان: 328.
(5) الديوان: 334، والبيت ورد من غير تدوير في الديوان.
(6) ينظر: معجم مصطلحات العروض والقوافي: 148.

وبعدها ببيتين:

ولـــولا ســـنانٌ مـــن لحاظـــك قاتـــلُ لمـــا كنـــت أدري ان طرفـــك ذابـــلُ

وبعدها بثلاثة أبيات:

بخلـــتُ ولـــم تســـمعْ فمـــا منـــك نائـــلُ وصـــانك اعـــراضٌ فمالـــك نائـــلُ[1]

وفـي القـوافي المردوفـة المصـرعة (باليـاء والـواو) نلاحـظ أن العـروض مردوفـة باليـاء والضرب مردوف بالواو أو العكس، وهو جائز لتقارب الحرفين وغير مستهجن كقوله:

كيـــف يصـــغي لعـــاذل أو يميـــلُ مغـــرم شـــفه ضـــنى ونحـــولُ[2]

متـــى بـــالقرب يخبرنـــي الرســـولُ ويســـمح باللقـــا دهـــر بخيـــلُ[3]

أما بالنسبة للتدوير في أبيات القصيدة دون المطلع فنسبتها قياسا إلى المجموع العام قليلة، فهي تقارب 102 من الابيات أي بنسبة 4,10 % من مجموع الأبيات الكلي وقد تركزت بالمرتبة الأولى في بحر الكامل ومجزوءه، وهذا شي ء طبيعي لكثرة نظم هذا الشاعر في هذا البحر، وبنسبة اقل على مجزوء الرمل والرجز ومجزوءه فالخفيف فالمنسرح، واغلبه كان في غرض الغزل وهذا شيء طبيعي أيضاً ؛ لأنه أكثر النظم فيه كقوله:

مـــا مـــرادي الربـــع اســـماء ان تســـ خـــو بوصـــلٍ أو ان يـــدوم لقـــاءُ

بينمـــا نحـــن بالـــديار وقـــد طـــا ل وقـــوفٌ منـــا وطـــالَ رجـــاءُ[4]

أو قوله:

أيهـــا الشـــاغل أســـرا ري مـــا افـــرغ ســـرَّك

يـــا محيـــاهُ أنـــار اللـــ ـــه فـــي العـــالم بـــدْرَكْ[5]

(1) الديوان: 243 – 244.
(2) الديوان: 245.
(3) الديوان: 252.
(4) الديوان: 33.
(5) الديوان: 161 - 162.

والملاحظ انه في أكثر الاحيان يستعمل التدوير في أكثر من بيت واكثر من موضع كالامثلة السابقة أو كقوله:

يـــا كثيـــر الاحســـان ان كثيـــر المـــ دحِ فيمـــــا حويتـــــهُ لقليـــــلُ

وكـــريم الاحســـان مـــا ضـــرك الدهـــ ر إذا مـــا وافـــاك وهـــو بخيـــل[1]

وأخيرا فالتدوير ما هو ((الا لون من الحرية يلتمسه الشاعر الذي كان مقيداً بأسلوب الشطرين حيث الشطر الأول ذو طول معين لا ينبغي ان يزيد، فكأن الشاعر يطيله بالتدوير ليملك بعض الحرية))[2]، هذه الحرية التي قد تقطع نفس الشاعر في بعض الاحيان فيلجأ إلى وضع بعض الفواصل ليرتاح عندها مكوناً من خلالها بعض الكتل الموسيقية المتراكمة المتتابعة كقوله:

بـــالطُّرة الســـوداءِ فـــوق الغـــرَّة الـــ بيضـــاءِ فـــوق الوجنـــةِ الحمـــراءِ[3]

بفـــؤادي المرتـــاح، أم بســـهادي الـــ فضـــــاح، أم بـــــودادي الوضـــــاحِ

فبعرفـــك الفيـــاح، أو فبطرفـــك الـــ ســـــفاح أو فبعطفـــــكَ الرمَّـــــاحِ[4]

- فالتدوير ((يلغي الثنائية الجزئية في البيت ويخضع البيت لوحدة متماسكة الاجزاء))[5].

{4} الجناس:

((هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى))[6]. وهو من أكثر الاضرب البديعية التي ركز عليها الشاب الظريف بمختلف أشكاله، فقد أولع به كثيراً فلا تكاد تجد له قصيدة الا وله

(1) الديوان: 246.
(2) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة- بغداد، ط2، 1965: 97.
(3) الديوان: 38.
(4) الديوان: 113 – 114.
(5) خصائص الاسلوب في الشوقيات: 85.
(6) ينظر: البديع في نقد الشعر، عبدالله بن المعتز 296هـ، تعليق اغناطوس كراتشوفسكي، دار دار الحكمة، د-ت: 25، وينظر: الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق: مفيد قميحة – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 1984م: 353، وينظر أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني 471هـ، تحقيق: محمد عبدالعزيز النجار، مكتبة محمد علي صبيح واولاد ه، مصر، 1977م: 16-17، وينظر التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني 739 هـ، شرح عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د-ت: 388، وينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1960م: 396.

لون من هذا الضرب. وقد يخرج به هذا الولع في بعض الاحيان إلى التكلف في الصنعة وفي النظم كقوله:

قلـــتُ لـــه لمـــا انثنـــى وانتشـــا جُـــد بوصـــال منـــك لـــي إن تَشَـــا

فقـــال لـــي تبغـــي وصـــال الرَّشـــا وأنـــت لا تبـــذل منـــك الرُّشـــا

فقلـــت هـــذي مهجتـــي والحشـــا قـــال انظـــروا بالجهـــل كيـــف انحشـــى[1]

أو قوله:

وافـــى وواصـــلَ عِنـــدَما أجـــرى المـــدامعَ عنْـــدَما

ورنـــا إلـــيَّ فســـلَّما للوجـــدِ قلبـــي ســـلَّما

وثنـــى القـــوامَ فهزَّمـــا لجيـــوش صـــبري هزَّمـــا[2]

- فهذا التحشيد للجناس ألغى تأثير النظم وأبقى تأثير الصنعة.

وقد ورد الجناس في أشعار الشاب الظريف تاماً وغير تام[3]. والأول كان وروده بنسبة اقل فهو ((مما لا يتفق للبليغ إلا على ندرة وقلة، فهو لا يقع من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه وساقه، وحتى تكون كلمته مما لا يبتغي الكاتب عنها بدلا، ولا يجد منها حولا))[4].

(1) الديوان: 189.
(2) الديوان: 311.
(3) الجناس التام: هو ان تتفق الالفاظ في أربعة امور هي انوع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها. أما غير التام هو ان يختلف اللفظ في أمر واحد من الامور التي بنت الجناس التام ويتفقان في سائرها. ينظر: البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب و د. حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق- ط1، 1982م: 451.
(4) جواهر البلاغة: 398.

▪ ومن الجناس التام قوله:

يهـــددهُ الواشـــي ويبكـــي صـــبابةً فيفـــرقُ مـــن نهـــرٍ ويغـــرق فـــي نهـــرِ[1]

حـــيِّ غـــزالاً ســـلَّ مـــن أجفانـــهِ عضـــبا غـــدا يقتـــلُ فـــي أجفانـــهِ[2]

لا طـل صـوب الغـوادي سـاحتي قطنـا لا رعـــى الله فـــي أرضـــها قطنـــا[3]

فأول الشاهدين وثانيهما من الجناس المتماثل- أي التشابه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفيَّة - ، وثالثهما وقد ورد بصورة اقل يسمى الجناس المستوفي- أي التشابه بين اسم وفعل مثلا[4]-.

من ذلك قوله :

لا يلتقـــي يـــوم المعـــاد ســـواهمُ متبســـما حيـــث الوجـــوه ســـواهمُ[5]

او قوله :

مـــا ان رأى روحـــي تحـــنُّ لقربـــه حتـــى تعجَّـــل بالبعـــاد فراقهـــا

تـــالله مـــا نظـــرت عيـــوني مـــذ نـــأى ابـــداً ســـواء مـــن الانـــام فراقهـــا[6]

▪ ومن الجناس غير التام { وهو كثير في أشعاره} ما اختلفت فيه الحركات وسمى المحرَّف كقوله:

إن حَضَـــروا فـــي مجـــالس خطبـــوا وإن نـــأوا عـــن مُجـــالس خُطبـــوا

وكـــم عُـــداة أقـــوالهم كتبـــوا وكـــم عـــداة وفـــوا بهـــا كُتبـــوا[7]

فنراه يجمع في البيت الواحد أكثر من جناس ((مُجالس – مَجالس – خَطبوا – خُطبوا – عُداة – عِداة – كَتبوا - كُتبوا)) وقوله:

أراك تشـــمُّ الخـــلَّ فـــي زمـــن الوبـــا فخـــلِّ حـــديثاً للأطبـــاء يـــا خلّـــي[1]

---

(1) الديوان: 174.
(2) الديوان: 338.
(3) الديوان327.
(4) ينظر: جواهر البلاغة: 396-397.
(5) الشاب الظريف حياته وشعره، المستدرك محمد شاكر ناصر الربيعي: 141، ديوان الشاب الظريف نظرات ومستدرك، الدكتور الجراخ: 300.
(6) الديوان: 378.
(7) الديوان: 45.

- وقد يكون الاختلاف في التنقيط فيسمى – المصحف – كقوله:

تحـــدوا النيـــاقُ كـــرام نحـــو تربتـــهِ فـــتملأ الأرض مـــن نجـــب ومـــن نحـــب[2]

إن الليـــالي والأيـــامُ مـــن غزلـــي فـــي الحســـنِ والحـــبَّ ابنـــاء وانبـــاءُ[3]

عجـل الزمـانُ علـيَّ فـي شـرخ الصـبا بتشـــــتتِ القرنـــــاء والقربـــــاءِ[4]

- ومنه اختلاف عدد الحروف كقوله:

أمـــطِ اللثـــامَ والـــقِ بَـــردكَ يتضَّـــح وجـــه وعطـــف كالصـــباح وكالصـــبا[5]

ودم ودمـــع حـــين يختلطـــان فـــي اثـــر الخلـــيط فجـــرحهنَّ جُبَـــارُ[6]

منطقـــهُ فـــي الهـــوى ونـــاظره ارَّقنـــي بـــالحوار والحـــورِ[7]

وإذا حللـــتم فـــي محـــلٍّ ممحـــلٍ كُســـيت محاســـنُهُ بكـــلِّ ربيـــعِ[8]

ففي الشاهدين الاولين نرى زيادة حرف في نهاية الكلمة ويسمى جناساً مطرفاً، وفي الشاهد الثاني نرى زيادة حرف في وسط الكلمة ويسمى جناساً مكتنفا، والثالث نرى فيه زيادة حرف في بداية الكلمة ويسمة جناساً مردوفاً[9] وهو اقل من سابقيه.

او قوله :

وما الناس غير اثنين عاشٍ وعاشقٍ

مع اثنين ذا يجني وذا يتقبلُ[10]

---

(1) الديوان: 272.
(2) الديوان: 74.
(3) الديوان: 29.
(4) الديوان: 34.
(5) الديوان:59.
(6) الديوان: 149.
(7) الديوان: 174.
(8) الديوان: 210.
(9) ينظر: جواهر البلاغة: 399.
(10) الديوان: 382.

- ومنه الاختلاف في نوع الحرف كقوله:

طالـــتْ إليـــكَ رســـائلي ووســـائلي يـــا ذا الملاحـــةِ والعـــذارِ الســـائلِ[1]

أفنـــى هـــواكَ تمسُّـــكي بتنسُّـــكي فخلعـــتُ فيـــكَ عـــذارَ علمـــي أشـــيبا[2]

منـــتقمّ بالصـــدودِ منتقـــلٌ عـــن ودِّه بِالجمـــالِ مُنتقـــبُ[3]

فنلاحظ ان الشاهد الأول كان الاختلاف في بداية اللفظ، وهو اقل، والثاني في وسطها، والثالث في نهايتها، وبأكثر من لفظة، فإذا كانت مخارج الحروف متقاربة سمي مضارعاً وإذا كانت مخارجها متباعدة سمي لاحقاً.

وقد يجمع في البيت الواحد أكثر من جناس كقوله:

هـــل عـــاذر فـــي الحـــبِّ لـــي عـــاذل أو جـــابرٌ نـــاظره الجـــائرُ[4]

يـــا مربـــعَ الإطـــرابِ والأتـــرابِ بـــل يـــا مربـــعَ الأنـــواءِ والأنـــوار[5]

- ومنه اختلف في ترتيب الحروف كقوله:

وصـــفوةُ الـــدهرِ بحـــرٌ والصـــبا ســـفنٌ وللخلاعـــةِ إرســـاءٌ وإســـراءُ[6]

هـــل حرمـــة أو رحمـــة المتـــيمُ قـــد قـــل فيـــك نضـــيرهُ ونصـــيبهُ[7]

وقد يجمع جناسين من هذا النوع في بيت واحد كقوله:

وبـــي ســـاحرٌ فـــي اللحـــظ للخـــدِ حـــارسُ وذابـــلُ أعطـــافٍ لـــدمعي بـــاذلُ[8]

وقد يستعمل التقليب اللفظي للكلمة الواحدة أكثر من مرة { ويسمى جناس القلب[9]} كقوله:

---

(1) الديوان: 273.
(2) الديوان: 60.
(3) الديوان: 43.
(4) الديوان: 155.
(5) الديوان: 169.
(6) الديوان: 55.
(7) الديوان: 42.
(8) الديوان: 244.
(9) ينظر: جواهر البلاغة: 402.

أضـــمرتموا هجـــراً وأمرضـــتم حشـــى منـــــي وأضـــــرمتم بنـــــارٍ أضـــــلعا[1]

يـــا عـــاجلاً بـــالهجرِ منـــه وجـــاعلاً بـــين الجـــوانحِ لاعـــجَ الأشـــواقِ [2]

- ومنه ما تماثل ركناه لفظاً واختلف احد ركنيه عن الاخر خطاً كالاختلاف بين النون والتنوين ويسمى بالجناس اللفظي[3] كقوله:

مثـــلُ الغـــزالِ نظـــرةً ولفتـــةً مـــــن ذا رآه مقـــــبلاً ولا افتـــــتن

أحســـنُ خلـــق اللهِ وجهـــاً وفمـــاً إن لـــم يكـــن احـــق بالحســـنِ فمـــنْ[4]

(1) الديوان: 206.
(2) الديوان: 237.
(3) جواهر البلاغة: 400.
(4) الديوان: 339.

ومن شدة ولع الشاب الظريف بالجناس نراه يحشد في أبياته أكثر من نوع من هذه الانواع كقوله:

معـــــرضٌ بـــــالودادِ معتـــــرضٌ محتجـــــر فـــــي الغـــــرامِ محتجـــــبُ[1]

فالأول اختلاف في عدد الحروف والثاني اختلاف في نوعها:

تُكَلـــــف مـــــن تَكلّـــــف منـــــك وداً طـــــلاب الشـــــرابِ مـــــن الســـــرابِ[2]

فالاول جناس محرف والثاني مصحف أو كقوله:

هـــل جـــابرٌ جـــائرٌ بالوصـــلِ لـــم يجُـــدِ أم ناصـــر ناصـــرَ جفنـــي علـــى الســـهدِ[3]

فالاول في نوع الحروف والثاني في هيئتها.

وقد يجمع بين أكثر من جناسين كقوله:

الـــــدمع هـــــامٍ والحشـــــا هـــــائمٌ والجفـــــنُ دامٍ والجـــــوى دائـــــمُ[4]

- ومن الجناس المركب[5] أو الملفق[6]. ويدل على حذق في الصنعة ولكن في أكثر الاحيان الاحيان على حساب النظم وشدة أسره. وفي بعض الاحيان أو اغلبها يغلب عليه بعض التكلف ومن ذلك قوله:

هيهـــاتَ أن يســـخو ولـــو بســـلامه مـــن لـــم يـــزل للحـــربِ لابـــس لامـــهْ[7]

أو قوله:

أتـــراكَ بـــالهجرانِ حـــين فتكـــتَ فـــي قلبـــي علمـــتَ بمـــا يجـــنُّ فتكتفـــي

عاهـــدتني ألا تخـــونَ ولمـــتَ فـــي طلبـــي وفـــاءك بـــالعهودِ ولـــم تـــفِ[8]

---

(1) الديوان: 43.
(2) الديوان: 89.
(3) الديوان: 139.
(4) الديوان: 291.
(5) **الجناس المركب**: هو ما اختلف ركناه إفراداً وتركيباً ويقسم إلى مرفو ومقرون ومفروق. ينظر: جواهر البلاغة: 401-402.
(6) **الجناس الملفق**: يكون بتركيب الركنين جميعاً. المصدر السابق: 402.
(7) الديوان: 320.
(8) الديوان: 221.

فالشاهد الأول والبيت الأول من الشاهد الثاني يسمى جناسا مركبا مفروقاً: وهو ان يختلف ركناه إفراداً وتركيباً وكان من كلمتين لم يتفقا خطا[1]. وأما الملفق كما ورد في البيت الثاني من الشاهد الثاني.

ومن شدة إغراقه في هذا اللون نراه يجانس في عبارة كاملة كقوله:

يـــا قمـــراً رأيتـــهُ فـــي مـــأتمٍ مـــن حزنـــه شـــقَّ علـــى شـــقيقهِ

لا تلطـــم الخـــدَّ عليـــه أســـفاً فربمـــا شـــقَّ علـــى شـــقيقهِ[2]

وبعد فما هذا الكلام وهذه الشواهد إلا دليل على اعتناء الشاب الظريف بهذا الجانب وإبداعه فيه وإن لزمه بعض التكلف في بعض الأحيان، فالإغراق في الصنعة ما هو إلا لإثبات مقدرة الشاعر على التلاعب بالألفاظ مع خبرة ودراية بها، ومتماشياً مع ما كان سائداً في عصره. فالشاعر مرآة للعصر الذي يعيش فيه.

{5} التصدير ((رد الأعجاز على الصدور)):

وهو أن ((يرد أعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر))[3] والدلالة عليها، مما يكسب الكلام ظلالاً خاصة جراء إعادة الألفاظ وتكرارها. وينقسم هذا الباب على ثلاثة أقسام[4] وردت بكثرة في أشعار الشاب الظريف، ولعله تنبه هنا إلى ما يمثله هذا الباب في البلاغة من موقع، ويمثل من اهمية فيها.

القسم الأول: ما وافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الأول كقوله:

أرى كـــلَّ شـــيء منـــه يـــأتي محببـــاً ولاســـيما ذاكَ الرضـــابُ المحبَّـــبُ[5]

منعـــتُ دمـــوعي أن لا تصـــوب وأســـهم عينيـــك أن لا تصـــيبا[6]

أيهـــا الجاهـــل قـــدري أنـــا لا أجهـــلُ قـــدْرك[7]

---

(1) ينظر: جواهر البلاغة: 402.
(2) الديوان: 239.
(3) العمدة: 30/2. وينظر: علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت: (د.ت): (د.ت): 334. وينظر: جواهر البلاغة: 407.
(4) البديع في نقد الشعر: 47 وما بعدها. وينظر: الصناعتين: 42. وينظر العمدة: 3/2.
(5) الديوان: 53.
(6) الديوان: 67.
(7) الديوان: 161.

علـــى أنَّ أيـــام الوصـــالِ ودائـــعٌ ولا بـــدَّ يومـــاً أن تُـــردَّ الودائـــعُ[1]

والثاني: ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقوله:

رمـــى فأصـــاب قلبـــي باجتهـــادٍ صـــدقتم كـــل مجتهـــدٍ مصـــيبُ[2]

أيَّهـــا الهـــاجرُ حدِّثـــي مـــا أوجـــبَ هجْـــرَك[3]

لـــيسَ خلـــيلاً لـــي ولكنَّـــه أضـــرمَ فـــي الأحشـــاءِ نـــارَ الخليـــلْ[4]

والثالث: ما يوافق آخر كلمة منه اول كلمة في النصف الأول كقوله:

وســـواد عيشـــي لـــم يـــدعْ لـــي لـــذة افتضُّـــها باللَّمـــة الســـوداءِ[5]

أعانـــكِ الهجـــرُ والصـــدودُ علـــى قتلـــي ومـــالي عليـــك أعـــوانُ[6]

يـــا كحيـــل الجفـــونِ لـــي فيـــك جفـــنٌ مـــا لـــه مـــن ســـوى الســـهاد اكتحـــالُ[7]

وأخيراً: فان التصدير من الفنون البديعية القريبة من النفس لما فيه من تكرار محبب غير متكلف وترديد يتوائم مع المعنى ومع القافية في الوقت نفسه.

{6} الطباق:

هو ((جمعك بين الضدين في كلام واحد))[8]، ولا يخفى ما لهذا اللون من خاصية إذا أُحسن أُحسن استخدامه، وتتجلى هذه الخاصية أو هذا التأثير في أن الشاعر ((بجمعه بين الأضداد يخلق صوراً ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القاريء ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده))[9]. هذه الصور من الممكن ان يكون لها تأثير عميق في نفس المتلقي إذا ما

(1) الديوان: 202.
(2) الديوان: 40.
(3) الديوان: 161.
(4) الديوان: 281.
(5) الديوان: 34.
(6) الديوان: 323.
(7) الديوان: 257.
(8) العمدة: 5/2. وينظر جواهر البلاغة: 296. وينظر البلاغة والتطبيق: 438. وينظر: علوم البلاغة: 297.
(9) البلاغة والتطبيق: 443.

وضعت في الموضع اللائق بها. وقد استعمل الشاب الظريف الطباق على أساس الإثبات والنفي بنوعيه طباق الإيجاب، وهو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين، وطباق السلب وهو الجمع بين اللفظ ومنفييه[1] كقوله:

لا يـــــدَّعي العاشـــــقونَ مرتبتـــــي متـــى تســـاوى التـــرابُ والـــذهبُ[2]

أعانـــكِ الهجـــرُ والصـــدودُ علـــى قتلـــي ومـــالي عليـــك أعـــوانُ[3]

وكيـــفَ أرضـــى لنفســـي أن اســـوّدُ مـــن لم يرضَ أنّي له أصبحتُ مملوكا[4]

والأول اعم من الثاني وقد يجمع بين النوعين في بيت واحد كقوله:

ويـــا ديـــارَ الحمـــى شـــطّي أو اقتربـــي إن شـــاءَ جـــادكِ أو لا جـــادكِ المطـــرُ[5]

(1) المصدر نفسه: 339. وينظر: علوم البلاغة: 298.
(2) الديوان: 42.
(3) الديوان: 323.
(4) الديوان: 240.
(5) الديوان: 154.

او قوله :

وبروحي ظبي أطاع فؤادي

وجده اذ عصى عذَّالهُ[1]

وقد يخرج إلى المقابلة: وهي الإتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يأتي بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب[2] كقوله:

متضادان:

أنـــا لـــي منـــك قســـوةٌ وصـــدودُ ولغيـــــري تعطـــــفٌ ووصـــــالُ[3]

ثلاث متضادات:

ونحـــن فعلنـــا مـــا يليـــق مـــن الوفـــا فـــلا تفعلـــوا مـــا لا يليـــق مـــن الغـــدرِ[4]

ثلاث متضادات:

متباعـــــدٌ بدلالـــــه متقـــــربٌ مســـــتوحشٌ بنضـــــارهِ مســـــتأنسِ[5]

أربع متضادات:

وصـــالكَ مضـــمرٌ للعهـــدِ هجـــرٌ وهجـــرك مظهـــرٌ للـــودِ وصـــلُ[6]

أربع متضادات:

ترحَّـــل عنـــا وصـــله وهـــو عـــادلٌ وخـــيَّم فينـــا هجـــره وهـــو قاســـطُ[7]

وقد جمع في البيت الأخير بين ثمان متضادات، وقد جمع فيه تقسيم الطباق من حيث التضاد إلى اسمين أو فعلين أو حرفين[8]. فالاسمان هجره ووصله وعادل وقاسط، والفعلان ترحّل وخيّم،

(1) الديوان: الملحق: 384.
(2) البلاغة والتطبيق: 440.
(3) الديوان: 256 .
(4) الديوان: 167.
(5) الديوان: 187.
(6) الديوان:255.
(7) الديوان: 199.
(8) ينظر: جواهر البلاغة: 296، والبلاغة والتطبيق: 440.

والحرفان فينا وعنا. والفرق بين المقابلة والطباق هي ان الأول يكون بين أكثر من متضادين، والثاني يكون بين المتضادين فقط، والمقابلة تكون بين الأضداد وغيرها ولكنها في الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعاً[1]. وقد وردت في أشعار الشاب الظريف أكثر ما وردت بهذا الشكل.

{7} الموازنة:

هي: ((تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية))[2].

أو هي ((اقامة الشطرين من البيت على مفردات يتناسب تقطيع كل منها في الشطر تقطيع نظيره في الشطر الثاني مناسبة تامة، أو تنزع ان تكون تامة))[3] ويمكن ان يندرج تحت هذا التعريف ما يسمى بالتسميط[4] والترصيع[5]. وفي نظرة إلى اشعار الشاب الظريف نجد هذا اللون اللون مبثوثاً بين طيات ديوانه.

- مما ورد في مطلع قصائده ليكون مع الترصيع والتقفية تناسقاً في النظم والموسيقى:

فكم / جمع / الحسنَ /النفيسَ / من/ العلى وكم/ فرَّق/ الجيشَ / الخميسَ/ من/العدى[6]

وحــــقُّ/ هـــذي/ الأعـــين / الســـاحرة وحســـنُ / هـــذي / الوجنـــةِ / الزاهـــره [7]

إذا / سـطا / قلـت يـا أسـدَ العـرين/ قفـي وان بـدا / قلـت يـا شـمس الضـحى / غيبـي[8]

- وقد ترد في خلال القصيدة كقوله:

فـإن عشـقت / فهـذا الحسـن / لـي وطـر وان سـلوتُ/ فهـذا الهجـر/ لـي سـببُ[9]

حبيـــب/ القلـــوبِ/ اذبـــتَ / العيـــون حبيـــب / الفـــؤادِ / أذبـــت / القلوبـــا[10]

---

(1) المصدر المصدر نفسه: 440، 441.
(2) المصدر نفسه: 405.
(3) خصائص الاسلوب في الشوقيات: 77.
(4) **التسميط:** هو ان يجعل الشاعر بيته على اربعة اقسام ثلاثة على سجع واحد بخلاف قافية البيت. جواهر البلاغة: 409.
(5) **الترصيع:** هو توازن الالفاظ، مع توافق اعجازها، أو تقاربها، المصدر السابق: 406.
(6) الديوان:129.
(7) الديوان: 164.
(8) الديوان: 82.
(9) الديوان: 48.
(10) الديوان: 67.

بحمـــرة / خـــدٍّ / لا تصـــاب/ بعـــارضٍ وخمـــرة / ثغـــرٍ / لا تعـــاف/ لشـــاربِ[1]

- وقد تكون الموازنة بين ألفاظ متقاربة متجانسة مما يزيدها جمالاً إلى جمالها كقوله:

فيطـربُ/ حـين/ يضـرب / فـي / خطـوبٍ ويعـربُ / حـين / يغـربُ / فـي خطـابِ[2]

فلـيس / مجـدكَ / فـي/ مجـدٍ / بمحتجـبٍ ولـيس / مـدحكَ / فـي/ مـدحٍ / بمكـذوبِ[3]

- وقد تكون الموازنة موزونة ومقفاة، أو يقسم البيت فيها إلى اربعة أشطر ثلاثة منها مقفاة، وهذا هو الترصيع والتسميط كقوله من قصيدة يمدح احد ولاة دمشق:

المنجـــدين أخـــاً الموجـــدين ســـخاً والماجـــدين أبـــاً والواجـــدين إبـــا[4]

وكذلك قوله في المقام نفسه:

معنـــى لمبتكـــر أنـــسٌ لمفتكـــرٍ فجـــرٌ لمعتكـــرٍ بـــالنقع معتكـــرِ

أكـــرم بـــه منصـــف بالعـــدلِ متصـــفٍ للـــدين منتصـــفٍ للحـــق منتصـــرِ

يـــا خيـــر منتســـبٍ للمجـــدِ محتســـب بـــالعزمِ مكتســـب مـــدحا مـــن البشـــر[5]

(1) الديوان: 88.
(2) الديوان: 90.
(3) الديوان: 86.
(4) الديوان: 63.
(5) الديوان: 171.

فنلاحظ أنه يكرر هذه الموازنة في أبيات متكررة من القصيدة الواحدة. وقد يقسم في بعض الأحيان البيت إلى ثلاثة أقسام متساوية مرصعة كقوله:

بفـــؤادي المرتـــاح أم بســـهادي الـــ فضَّـــاح أم بـــودادي الوضـــاحِ

فبعرفـــك الفيـــاح أو فبطرفـــك الـــ ســـفَّاح أو فبعطفـــك الرمـــاحِ[1]

ونلاحظ تكراره لهذه الموازنة في أبيات متتابعة كقوله من قصيدة أخرى (يمدح بها احد الوزراء ويعاتبه) :

الســـعد فـــي / أبوابـــه / والأمـــنُ فـــي إقليمـــه/ والـــرزق فـــي/ أقلامـــهِ

والشـــمس مـــن / قســـماته/ والجـــود فـــي تقســـيمهِ / والبـــرُّ فـــي / أقســـامهِ

والبـــأس فـــي / يقظاتـــه / والحُلـــم فـــي غفلاتـــهِ / والعلـــم مـــلء / كلامـــهِ

والصـــدق فـــي / اقوالـــه / والحـــق فـــي افعالـــهِ / والعـــدل فـــي / احكامـــهِ

والله مـــن / حفظائـــه / والنصـــر مـــن اعوانـــه / والـــدهر مـــن / خدَّامـــهِ[2]

فهو فضلا عن الترصيع يجمع بين التقسيم الافقي والعامودي، ومن الثاني قوله (معرضاً بأبناء جيله):

وعابـــدين/ فـــي المحـــراب قـــد هربـــوا تـــرى المســـيح يـــوافيهم علـــى قـــدرِ

ومـــدبرين/ ومـــا ولـــوا ولا اجترمـــوا وينســـبون بـــلا شـــكّ إلـــى دبـــرِ

وصـــالحين/ رأيـــتَ الخمـــرَ عنـــدهم قـــد حلَّلـــوه بـــلا خـــوف ولا حـــذرِ

وســـالحين/ ومـــا زالـــت طهـــارتهم وآمنـــين وقـــد أمســـوا ذوي خطـــرِ[3]

(1) الديوان: 113 - 114.
(2) الديوان: 318.
(3) الديوان: 166.

وقد يجمع بين التقسيم العامودي والأفقي في أبياته كقوله:

وارجـــو / غيـــر / بابـــك / لـــي/ مرامـــا وأقصـــد/ غيـــر/ ربعـــك / لـــي /مقـــيلا

وأخطـــب/ غيـــر/ شمســـك / ان / تجلـــى وأســـأل / غيـــر / مائـــك/ ان / يســـيلا[1]

وأخيرا فإن الموازنة باب واسع وما طاله البحث منها هو إشارة إلى علاماتها البارزة في أشعار شاعرنا.

- ويلاحظ استعماله للمحسنات المعنوية[2] { كالتورية، وحسن التعليل، والمدح بما يشبه الذم، واللف والنشر} بصورة اقل من المحسنات اللفظية. فمن بين الانماط التي تمت دراستها لا نجد الا الطباق[3] من المحسنات المعنوية والبقية كلها محسنات لفظية[4]. وقد يرجع السبب في ذلك إلى إلى ان المحسنات المعنوية تحتاج إلى ثقافة عالية وتمرس وخبرة فضلاً عن ذلك ما تتطلب من جهد عقلي وفكري كبير وغوص في المعاني واستخراج المتوافق منها. والشاب الظريف على الرغم من ثقافته العالية نراه ميّالاً بطبيعته إلى اللفظ دون المعنى فهو لا يتطلب كبير جهد أو تفكير. هذا الميل الذي قد يكون فرضه الاتجاه السائد في عصره بتفضيل اللفظ على المعنى.

فالشاب الظريف قد نشأ في أسرة علم ومن غير المعقول ان تخرج هذه الاسرة شاباً غير مثقف. فخلال أشعاره نلمس ثقافة لا بأس بها. وقد يرجع الامر إلى قصور وعدم مقدرة في هذا اللون من الوان البديع فضلاً عما ذكرناه.

المحسنات المعنوية

{1} التورية:

((وهي أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان، احدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود دلالة اللفظ عليه خفية))[5] كقوله:

---

(1) الديوان: 262 – 263.

(2) **المحسنات المعنوية**: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى اولاً. ينظر: علوم البلاغة: 96.

(3) وقد تفيد تحسين اللفظ أيضاً.

(4) **المحسنات اللفظية**: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أصالة. ينظر: المصدر السابق: 296.

(5) جواهر البلاغة: 363.

فليسَ الفضل والحسن بن سهل وإن يك فيهما منحٌ وبذلُ

كجودكِ أو كخلقكَ يوم سلمٍ فذا فضل وذا حسنٌ وسهلُ[1]

- فالمعنى الظاهر هو تشبيه الممدوح في الجود والخلق بهذين الشخصين ولكن المعنى المقصود هو ان ينسب هذه الصفات وليست الاسماء إلى ممدوحه أو قوله: (في رثا الفخر العراقي) :

لعمرك ما الفخرُ العراقيُّ ميّتٌ وإن كان ما بين القبورِ له قبرُ

ولكنها الأخرى أتت وتزيَّنتْ وفاخرت الدنيا وكان لها الفخرُ[2]

أو قوله: (في مليح جرحت يده) /

لم تجرحْ السّكين كف معذبي إلا لمعنى حسنُه متحقِّقُ

هي مثل ما قيل جارحة له ولكلِّ جارحةٌ إليهِ تشُّوقُ[3]

او قوله :

اعاين روض النيّرين بخدِّه

فاعجب من خطٍّ يُريني به سطرا

ويكسر قلبي اشعريٌّ عذاره

فواعجبا والاشعريُّ لا يرى الجبرا[4]

(1) الديوان: 256.
(2) الديوان: 158.
(3) الديوان: 229.
(4) الشاب الظريف حياته وشعره: المستدرك: محمد شاكر ناصر الربيعي: 139، ديوان الشاب الظريف نظرات ومستدرك: الدكتور عباس هاني الجراخ: 298 .

{2} حسن التعليل:

((وهو أن يُدّعى لوصف علّة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي))[1] كقوله:

كـــانَ بعينـــين فلمَّـــا طغـــى بســـحره رُدّ إلـــى عـــينِ

وذاك مـــن لطـــفٍ بعشَّـــاقه مـــا يضـــربُ الله بســـيفينِ[2]

أو قوله:

عـــابوا مـــن الحبـــوب حمـــرة شـــعرهِ وأظـــنُّهم بدليلـــهِ لـــم يشـــعُروا

لا تنكـــروا مـــا احمـــرَّ منـــه فإنـــه بـــدماء أربـــابِ الغـــرام مضـــفَّرُ[3]

او قوله :

بعـــث الكتـــاب برقعـــةٍ محمـــرَّةٍ جـــاءت تهـــددنا بفـــرط جفائـــه

فســـألتها عنـــهُ فقالـــت أنَّـــه ذبـــح الـــوداد فكنـــت بعـــض دمائـــهِ[4]

او قوله :

والأرضُ قـــد بســـطتْ لحســـن صـــنيعهِ بـــالثلج فـــي الأرضِ اليـــد البيضـــاءِ[5]

{3} المدح بما يشبه الذم:

وهو ((أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء))[6] صفة مدح كقوله:

ومـــا فيـــه مـــن حســـن ســـوى ان طرفـــه لكـــلِّ فـــؤادٍ فـــي البريـــة صـــائدُ[7]

(1) التلخيص: 375.
(2) الديوان: 337.
(3) الديوان: 156.
(4) الديوان: 39.
(5) الديوان: 32.
(6) أحسن الصياغة في حلية البلاغة (في فن البيان والمعاني والبديع، عبدالله الفرهاوي الواعظ، الواعظ، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1387 هـ- 1967م: 66.
(7) الديوان: 121.

او قوله :

ولا عيـــب عنـــدي فيـــك لـــولا صـــيانة لـــديكَ بهـــا كـــل امـــريءٍ يتبـــذَّلُ[1]

{4} اللف والنشر:

((وهو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يردّه إليه))[2] كقوله:

رأى جســدي والــدمع والقلــبَ والحشــا فأضـــنى وأفنـــى واســـتمالَ وتيَّمـــا[3]

او قوله :

فخمـــــــره وورده وآســـــــهِ مـــن ريقـــهِ وخـــدهِ وصـــدغهِ[4]

او قوله :

فـــي جســـمهِ وصـــدغهِ وشـــكلهِ المـــاءُ والخضـــرة والوجـــه الحســـنْ[5]

وأخيراً: فإن الشاب الظريف واكب التطور الحاصل في عصره من العناية بالصنعة والإغراق في البديع والزخارف اللفظية التي أكد عليها أكثر من غيرها، فكان اهتمامه باللفظ وتزويقه وتحسينه يشغل اهتمامه الاكبر، لذلك فحصة الاسد في شعره كانت للتحسينات اللفظية التي اولاها عناية كبيرة إذا ما استثنينا التورية. انصبت هذه العناية على الجناس والطباق والتصدير والموازنة أكثر من غيرها من المحسنات.

- تركيز الشاب الظريف على المحسنات اللفظية دون المعنوية انسجاما مع ما كان سائداً في عصره من العناية باللفظ وزخارفه.

(1) الديوان: 242.
(2) أحسن الصياغة في حلية البلاغة: 66.
(3) الديوان: 312.
(4) الديوان: 216.
(5) الديوان: 339.